الفصل الثالث

(عمل اللجان، سياسة اللغات، الصدمة، البحث عن مخرج)

obeikandl.com

obeikandl.com

عمل اللجان

شرعت اللجان الفرعية في المرحلة الثانية من عملها والمتمثلة في تسجيل اقتراحات على ضوء نتائج التشخيص لواقع المنظومة التربوية وفق التحديات الكبرى التي يفرضها الواقع الدولي مثل العولمة والتكنولوجيات الحديثة.

وسأتحدث مركزاً عن مسار اللجنة الفرعية الأولى للإصلاح البيداغوجي فقط للاعتبارات الآتية:

- بصفتي عضوا فيها، شاهدا على ما جرى.
- لأنها العمود الفقري لبقية اللجان وللإصلاح التربوي.
- لأنها تتضمن ملف اللغات والتربية الإسلامية.
- لأن الجدل والنقاش داخل اللجنة الوطنية وخارجها كان منصبا حول

➢ اقتراحات هذه اللجنة:

أول خلاف نشب في اللجنة الأولى كان حول نتائج التشخيص بحيث رفض بعض الأعضاء ومنهم الأستاذ عبد المجيد بوالقمح جعل العربية مشجبا لتعليق الفشل المدرسي كلمة حق أريد بها باطل لأن العربية كغيرها من اللغات إنما تنمو وتتطور وتتجدد بأهلها عن طريق تحديث الطرائق والمراجع وتحسين التأطير ... وبدأ اللف والدوران ... والحديث باستحياء عن مكانة العربية وتقصيرها وعن صدمة الطلبة في الجامعة بمواد تدرس بالفرنسية وضرورة إيجاد حل لهذه المشكلة وعن وجوب إنقاذ المدرسة من الأدوات اللغوية العقيمة والتركيز على رسالة المهمة التي يوصي فيها رئيس الجمهورية بإدخال اللغات الأجنبية في كل المراحل ... وقد أعيدت علينا هذه الفقرة عدة مرات وفي كل جلسة سيما من قبل الأخ:

فريد بن رمضان ومحاولة ترجمة المراحل بالأطوار ... أي إدخال اللغات الأجنبية في كل الأطوار مما يعني أن الرسالة توصي بإدخال اللغات في الطور الأول (السنوات 3.2.1) ابتدائي وكان علي أن أوضح له أن المرحلة لا تعنى الطور فهناك مرحلة ابتدائية وأخرى متوسطة وأخرى ثانوية...الخ

فلجأ إلى مطالبة مكتب اللجنة قصد الاتصال برئاسة الجمهورية لرفع اللبس.

ملاحظة:

(بمجرد أن تم اقتراحهم للغة الفرنسية في السنة 2 و الإنجليزية في السنة 7 ، لم يذكر أي أحد الفقرة المذكورة أعلاه رغم تذكيري لهم أن الفقرة تنص على لغات أجنبية وليس على لغة واحدة)... كما أوضح الأستاذ عيسى بوسام أن اللغة المعنية في الفقرة المذكورة أو التوصية الرئاسية والتي تمكن الطلبة من الوصول مباشرة هي الإنجليزية.

اللغات الأجنبية

➢ الإنجليزية أولا:

يقال إن أحسن وسيلة للدفاع هي الهجوم ...

تبين لي أثناء أشغال لجنة الإصلاح البيداغوجي أيام 22.16.15 نوفمبر 2000 بنادي الصنوبر أن الأمور تتجه إلى محاكمة اللغة العربية على أساس أنها مقصرة ينبغي تدجينها وحبسها وفسح المجال للفرنسية كي تعوض العربية المعاقبة!!

كان علي أن أفكر في مخرج يدحض حجة الطرف المناصر للفرنسية كلغة علم ولغة تدريس ولغة جزء من المجتمع الجزائري معتمدا على المعطيات الآتية:

- الواقع العالمي في الاتصال والتكنولوجيا(انظر ملحق رقم11 186)

- **التفاضل بين اللغات من حيث سهولة تعلمها[1].**
- **الصراع اللغوي في الجزائر بين المفرنسين والمعربين وكيفية القضاء عليه.**

---

1. [الإنجليزية سهلة النطق نسبيفهي تملك– على سبيل المثال– عددا قليلا من تجمعات الصوامت المعقدة التي تملكها لغة مثل الروسية، أو من مقتضيات التحول النغمي الدقيقة للصينية، كما أن نحوها الأساسي نحو غير معقد إلى حد بعيد، كما تخلو الإنجليزية من أسلوب النداء غير الرسمي (informal vocation) وأنظمة الجنس(gender systems) التي تملكها معظم اللغات الأخرى مثل الفرنسية والألمانية والتي تربك كثيرا من الطلاب. والألفبائية الرومانية التي تقوم عليها الإنجليزية تعتبر أيضا أكثر كفاءة واقتصادا من نظيرتها العربية، (والألفبائية) الإنجليزية أسهل تعلما من أيديوجرافيا الصينية]. (Mc (Callen,1989:23f

عن كتاب اللغة والاقتصاد تأليف "فلوريال كلوماس"
أستاذ علم اللغة العام والتطبيقي جامعة تشو بطوكيو
ترجمة "د.أحمد عوض"(سلسلة عالم المعرفة273 ديسمبر 2000)
المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب –الكويت

هناك دليل قوي على أن الإنجليزية ينظر إليها متحدثون محليون للغات أخرى، سواء في آسيا أو أفريقيا أو أمريكيا اللاتينية، باعتبارها أسهل اكتسابا من أي لغة ثانية أخرى. وهناك اعتقاد على نطاق واسع بأنه يمكن إنجاز درجة ما من الكفاءة من خلال التمكن من وحدات نية ومعجمية وقواعدية أقل وأبسط مما هو الشأن في الصينية الشمالية أو الروسية أو الألمانية أو الفرنسية (أي اللغات المنافسة الطبيعية على المكانة العالمية).(Steiner, (1975:468

المصدر السابق

"أن جانبا كبيرا من الدافع وراء انتشار الإنجليزية على نطاق العالم هو جانب سياسي واقتصادي عى نحو واضح... ولكن أسباب العالمية أيضا أسباب لغوية".(1975:468)
وهي قبل كل شيء تتعلق بحقيقة أن الإنجليزية أسهل تعلما بشكل نسبي.
ولذلك ليست هناك مخاطرة كبيرة في التنبؤ بأنه بالنسبة للأجيال القادمة سوف تبقى الإنجليزية هي اللغة الأفضل تكيفا والأوسع انتة العالم، والأسباب الرئيسية وراء هذا هي أن مستوى تفاضلها العالي يتيح لها أن تعزز اقتصادا عالميا أكثر تكاملا يستحق لأول مرة أن يطلق عليه هذا الاسم، بينما تصبح في الوقت نفسه اللغة الأكثر تفاضلا نتيجة لانتشارها الهائل عبر العالم.

المصدر السابق ذكره

- الهوية الوطنية المهددة في أحد أهم عناصرها من قبل لغة أخرى، ووجدت أنه علميا ومنطقيا واستراتيجيا ينبغي المطالبة باللغة

الإنجليزية كلغة أجنبية أولى في التعليم و هي التي تتسجم مع المعطيات السابقة.

فكنت أول من نادى بالإنجليزية كلغة أجنبية أولى، ودافع عن ذلك خلال الشهور اللاحقة وحتى آخر جلسة في آخر دورة من دورات المنظومة التربوية يوم 2001/03/15 ووجدت من يساندني في الموضوع.

وبدأ يكثر العدد حتى صار للطرح أنصار أحدثوا تيارا جديدا داخل اللجنة أذكر من بينهم:

عمار بوحوش عبد المجيد بوالقمح

عيسى خلادي حواس مسعودي

عيسى بوسام مقران عبد الحفيظ

علي صديقي عبد القادر هني

الطاهر ميلة... مراد بركات... وآخرون

opeikandi.com

الصدمة الأولى

طبعا إن هذا الاقتراح (الإنجليزية أولا) كان مفاجئا لأنصار الفرنسية ولم يتصوروا أن يتحول النقاش بل الحديث عن اللغات الأجنبية وأيهما أفضل وأصلح للتعليم؟ بعدما كانوا يتصورون أن النقاش يتراوح في الدفاع عن اللغة العربية بمختلف الحجج وإن كان صراعا سيكون بين العربية والفرنسية أو بين العربية والأمازيغية ... ولكن هذا لم يحدث وظل الصراع بين أنصار الفرنسية وأنصار الإنجليزية ... ووجد الفريق الأول نفسه في ورطة حقيقية ... وحاول البعض تقديم أراء توفيقية فهناك من طالب بإحالة الموضوع على رئاسة الجمهورية للفصل في موضوع اللغات الأجنبية (مثلما ذكرنا عن الأستاذ عمر اسكندر) وهناك من اقترح اللغتين معا في الطور الثاني بدون تحديد السنة مثلما فعل الدكتور عبد الله الركيبي الذي قدم هذا الاقتراح وانسحب نهائيا من اللجنة منذ ذلك التاريخ وبدأ السجال، كان على كل مجموعة أن تعمل وتحاجج بأدلة ثابتة وعصرية دامغة وأذكر أنني قدمت خلال هذه الأيام (22.16.15 نوفمبر 2000) الملاحظات الآتية:

في البداية أقول أن:

- اللغة الوطنية اختيار شعبي .
- اللغة الأجنبية نتعلمها كلغة لا أن نعلم بها أو نعيش بها .
- أخشى أنه بعد 10 سنوات تندمون على اختيار الفرنسية كلغة أساسية.

الواقع اللغوي في الجزائر يبيّن أن الطفل يأتي إلى المدرسة ومعه لغتان في بعض الأحيان:

1. لغة البيت (الأمازيغية) في بعض المناطق.
2. اللهجة العاميّة (الشارع)

وبالتالي ينبغي تخصيص الطور الأول للّغة العربية لاستثمارها كما يلي:

السنة 1- تهذيب المكتسبات اللغوية القبلية.

السنة 2- ترسيخ الأدوات اللغوية (نطقا - صوتا).

السنة 3- امتلاك البنية اللغوية للعربية.

ثم إن الدراسات في علم اللسانيات تثبت أن تعلم أكثر من لغة في السنوات الأولى من التعليم هو تحطيم للبنية اللغوية للطفل بالنسبة للغة المدرسية الأولى وهذه النظرية أفادني بها الدكتور أحمد بلحوت من جامعة الجزائر وهي من ضمن اختصاصاته في مجال البحث.

- الأمازيغية:

- إن كتابة الأمازيغية بالحروف اللاتينية ليس في صالحها لأسباب تاريخية واجتماعية وعلمية والأحرى أن ترسم بالتفيناغ أوالحروف العربية التي تشترك معها في الحروف أكثر مما تشترك معها أي لغة أخرى وهذه الحروف (التي تشترك فيها الامازيغية والعربية) (هـ ض ح خ ث ...) مما يجعل تناولها عند الأطفال ميسوراكتابة ونطقا[1].

---

1. في مجال القرابة بين الأمازيغية والعربية ووجود تشابه في الحروف ومعاني المفردات والصيغ وقواعد النحو والصرف يرى كثير من الباحثين والمؤرخين أن البربرية (الأمازيغية) هي إحدى اللهجات العربية على اعتبار أن البربر الأمازيغ أصولهم عربية، فمثلا: ابن خلدون في تاريخه ينسب قبائل بربر إلى أصول عربية و(باسيه) الفرنسي في موسوعة (UNIVERSALIS) يقدر عدد اللهجات البربرية بخمسة آلاف لهجة ويقول "بأنها كلها مضروبة بالطابع العربي"، وفي الموسوعة المذكورة يذكر مؤرخو مادة البربر بأن" اللغة البربرية في استعمالها الحالي هي امتداد لاللغة العربية" وللتوسع أكثر في الموضوع طالع:

1. كتاب الأمازيغ البربر عربية للدكتور عثمان سعدي (والذي ينتمي إلى أكبر القبائل الأمازيغية في الجزائر رافضا أن يوصف بالبربري ومصرّا على أنه عربي مسلم ص137)

2. الكتاب المجلد: (سِفْر العرب الأمازيغ) وكتاب لسان العرب الأمازيغ(معجم عربي – بربري مقارن) الصادرين عن دار الكتب بنغازي (ليبيا) للدكتور الباحث: علي فهمي خشيم رئيس رابطة الكتاب الليبيين.

الأمازيغية: اختلاف بين المناطق حول رسم حروفها، بالتفيناغ أم بالعربية أم باللاتينية.

صورة تجمع الكتاب الجزائريين المرحوم مولود معمري، والمؤرخ محفوظ قدّاش والمؤلف رابح خدوسي (1983م).

يظهر في الصورة المؤرخ المرحوم سليمان داوود بن يوسف من وادي ميزاب (في الوسط) وعلى يمينه مؤلف الكتاب (1983م).

obeikandl.com

اللغات الأجنبية

اقتراح الإنجليزية كلغة أجنبية أولى لأنها:

- لغة العلم والتكنولوجيا .
- اللغة الأولى للاتصال في العالم (لسان العالم).
- لغة سهلة التعلم مقارنة باللغات الأجنبية الأخرى .
- تضع حدا للصراع اللغوي الموجود في المجتمع الجزائري بين المفرنسين والمعربين، هذا الصراع الذي يكاد يقسم المجتمع إلى مجتمعين(معرّب- مفرنس).
- المصلحة الاقتصادية، التعامل مع البلدان في العالم التي تستعمل الإنجليزية مثلا: الصين، دول الخليج ...إلخ

وبالنسبة للغة الفرنسية:

- تدرج في التعليم الأساسي كلغة أجنبية ثانية بداية من السنة 7 أساسي.
- وردا على الذين يقولون إن الفرنسية لغة التعليم في الدول المجاورة والبلدان الإفريقية ودعما للمصلحة الجهوية ينبغي تقليد هذه الدول أقول:
- إن الفرنسية لغة فرنسا والبلدان الفرنكفونية التي في أغلبها تتغذى من إعانات فرنسا (لغة الجياع)، (انظر ملحق رقم 12 ص188 تصدير الفرنكفونية).
- أما اللغات الأجنبية الأخرى كالأسبانية والإيطالية والألمانية فإنها تدرس ابتداء من المرحلة الثانوية.

obeikandl.com

الورطة الثانية

كانت الورطة الثانية لدعاة فرنسة التعليم أو بعبارة أخرى لمناصري اللغة الفرنسية ضد الإنجليزية بعد الصدمة الأولى، هي إدراج المقرر للرأيين معا ضمن التقرير المرحلي المقدم للجمعية العامة بتاريخ 22- 23 نوفمبر 2000 على الرغم من التناقض بين المقدمة والمحتوى ومن تقزيم حجج الفريق المنادي بالإنجليزية كلغة أولى

وفيما يلي نص التقرير المذكور أعلاه:

«إذا كنا قد سلمنا بوجوب تنزيل اللغة العربية المكانة التي هي جديرة بها في المنظومة التربوية بوصفها لغة التعليم، فإننا نسلم في ذات الوقت بوجوب إيلاء الأهمية القصوى للغات الأجنبية، من حيث هي بوابات نطل منها على العالم وأدوات نكتسب بها العلوم والتكنولوجيا، وفي هذا الباب، يقول رئيس الجمهورية بصريح العبارة: "تدرس اللجنة كل التدابير المناسبة قصد إدماج تعليم اللغات الأجنبية في مختلف مراحل المنظومة التربوية لتمكين الطلبة من الوصول المباشر إلى المعارف العالمية وتسهيل الانفتاح على ثقافات الغير من جهة، والقيام بتساوق ناجح بين مختلف شعب التعليم الثانوي والتكوين المهني والتعليم العالي من جهة أخرى".

ولما كان الأمر كذلك، فإن أعضاء الفوج ناقشوا هذه القضية المهمة نقاشا جادا لم يخل أحيانا - وهذا لا يجب أن يدعو إلى الاستغراب كما أسلفنا- من الانفعال، ونود أن نشير في البداية إلى القضايا التي حصل حولها الإجماع:

- إدخال تعليم اللغات الأجنبية في التعليم الأساسي، إذ تقضي الأبحاث الجارية في مجال علم النفس اللغوي بأنه كلما كان تعليمها مبكرا كان ذلك أفيد و كان تعليمها أنجع.

- تدريس لغتين أجنبيتين بشكل إجباري في التعليم الأساسي.

- تدريس لغة أجنبية ثالثة في السنة الأولى من التعليم الثانوي (الإسبانية أوالألمانية "اختياريا").

غير أن الأعضاء اختلفوا في اللغة الأجنبية الأولى الواجب اعتمادها: أهي الفرنسية أم الإنجليزية ؟ ولا بأس أن نقف عند حجج الفريقين:

أ. حجج الفريق الذي يدعو إلى اعتماد الفرنسية لغة أجنبية أولى:

يحتج هذا الفريق ويدعم رأيه بكون الفرنسية لغة من أهم اللغات العالمية، فضلا عن المكانة الممتازة التي ظفرت بها لأسباب تاريخية لا ينكرها إلا العنيد المكابر، أضف إلى هذا أن الفرنسية هي اللغة التي نعتمدها في علاقاتنا مع محيطنا القريب، ومن ثم يخطئ من يعتقد أن الانتصار للفرنسية آية من آيات الإستلاب، إن اعتماد الفرنسية لغة أجنبية أولى يفرضه مبدأ الواقع le principe (de réalité) لامبدأ الرغبة (le principe de plaisir) كما يقول علماء النفس، إن هذا الذي قدّمنا لا يعني قط التغاضي عما صارت إليه الإنجليزية من قوة وهيمنة في مجال إنتاج العلوم والمعرفة، وهيمنتها في مجال الاتصال، بل لابد أن تنزل هي الأخرى المنزلة التي هي جديرة بها في المنظومة التربوية إلى جانب اللغات الأخرى لا على حسابها، ونظرا لهذا فإن القول بتنزيلها المكانة الأولى يراه هذا الفريق منافيا للمنطق، لأن ذلك يفترض إيجاد الأرضية التي تهيأت للفرنسية طيلة عقود من الزمن، إنه لا يكفي اقتراح إجراء ما، بل لابد من إعمال النظر في إمكانية تطبيقيه، (la faisabilité) وفي هذا المضمار، أشار الاخوة إلى ضرورة استخلاص

الدروس من التجربة التي أجريت في بداية التسعينات حين سارعت الوزارة الوصية إلى جعل اللغة الإنجليزية اختيارية مع الفرنسية[1].

ب. حجج الفريق القائل باعتماد الإنجليزية لغة أجنبية أولى:

يرى هذا الفريق بأن ضرورة اعتماد الإنجليزية لغة أولى مردهُ إلى كونها اليوم لغة العلوم والتكنولوجيا والاتصال والاقتصاد، فضلا عن كونها أسهل من الفرنسية من حيث التعلم والتحصيل، إضافة إلى أنها ستقضي على الانشطار الذي طال أمده بين المعربين والمفرنسين».

1. للرد على هذا الادّعاء طالع الملحق 13.

obeikandl.com

الصدمة الكبيرة

بعد عرض تقرير لجنة الإصلاح التربوي المذكور سابقا على الجمعية العامة بتاريخ 24.23 نوفمبر 2000 متضمنا اقتراحين حول اللغات:

1. الفرنسية كلغة أولى ثم الإنجليزية .
2. الإنجليزية كلغة أولى ثم الفرنسية .

رغم أنه لم يسمح لنا بالتدخل بحجة أن أعضاء اللجان الفرعية لا يناقشون تقارير لجانهم في الجمعية العامة.

وجد الرأي الثاني أنصارًا في الجمعية العامة وكانت مداخلات الأعضاء مشفوعة بالحجج والبراهين أي أن الإنجليزية لغة تستحق الأولوية في التعليم بعد العربية بما لا يدع شكا في الموضوع وتطرق الحاضرون إلى تجربة الاختيار بين اللغتين (الفرنسية - الإنجليزية) ابتداء من السنة الرابعة أساسي مع بداية التسعينات وكيف أن العملية أجهضت بفعل التآمر على اختيار الإنجليزية والعمل على إفشال المشروع بعدم توفير الوسائل والأساتذة لهذه اللغة مما أدى بالذين اختاروا هذه اللغة كلغة أجنبية أولى إلى إحساسهم بوضع مستقبلهم الدراسي موضع المغامرة (للتوضيح أكثر أنظر الملحق 13 ص191)

وكانت تدخلات أعضاء الجمعية الثانية صدمة كبيرة لأعضاء اللجنة ومكتبها أصحاب طرح فرنسة التعليم، وشعروا أن الرياح تسير في غير اتجاه سفينتهم- وكأني أراها في البحرمتجهة نحو مرسيليا- فما كان عليهم إلا أن يفكروا في حل لهذه الورطة...

البحث عن مخرج

حالة استنفار قصوى عاشتها هذه المجموعة التي أحست بالخطر يهدد اللغة الفرنسية من قبل اللغة الإنجليزية بعد أن كانت تتصور أن الصراع قد لا يتعدى العربية والفرنسية إن لم يستغرق وقتا كبيرا بين أنصار الأمازيغية وخصومها لكن لم يحدث هذا ولا ذاك، وبالتالي لم يسقط أعضاء اللجنة في هذين الفخين التقليدين لما أدخل رقم جديد في المعادلة غيّر كل المعطيات والتوازنات والحسابات المسبقة...

فما كان من الجماعة إلا التفكير في حلول طارئة لإنقاذ الموقف وكان أول إجراء هو إعادة الموضوع إلى اللجنة الفرعية مرة ثانية بمبرر إثرائه على ضوء مناقشات الجمعية العامة المذكورة (23- 24 /11/ 2000) لكن تبين فيما بعد أن هذه الآراء التي قيلت في الجمعية العامة لم تؤخذ بعين الاعتبار وأعيد فتح النقاش من جديد في الموضوع على مستوى اللجنة الفرعية.

ومن بين الأساليب المباشرة المستعملة خلال هذه الفترة لإيجاد مخرج من الورطة التي وجد أنصار الفرنسية أنفسهم فيها أمام قوة الطرح لأنصار الإنجليزية نذكر :

1. التأثير في مجرى النقاش عن طريق توجيه الحوار في مختلف الجلسات من قبل رئيس الجلسة.
2. استقدام خبراء من البلدان الشقيقة (تونس - المغرب- لبنان) أومن المنظمات الدولية المختلفة، وبانتقاء مميز.
3. محاولة تحوير التقرير المرحلي لإبعاد رأى المجموعة الأصيلة.
4. المناورات المختلفة.

سنتعرض فيما يأتي إلى هذه الأساليب واحدا واحداً :

➢ الأسلوب الأول: توجيه النقاش:

إن طريقة توجيه الحوار معروفة عند قادة التنظيمات الحزبية والمهنية ولدى السياسيين عموما، سيما في الحزب الواحد الذي حكم البلاد، أو لدى المسؤولين الذين يتخوفون من نقد المعارضة ...

واللجنة الوطنية لإصلاح المنظومة التربوية عانت من سلطة رئيس مكتبها وبعض نوابه في توجيه مسار النقاش حسب ما يريدونه وقد توقف هذا الأسلوب بعد سلسلة الاحتجاجات من بعض النواب على تعقيبات رئيس اللجنة في الشهور الأخيرة لعمل اللجنة وقد تحدثنا عن استقالة أحد الأعضاء احتجاجا على هذا الأسلوب في تسيير الجلسات.

➢ الأسلوب الثاني: التعاون الأجنبي:

طبقا لمواثيق تنصيب اللجنة الوطنية لإصلاح المنظومة التربوية استقدمت اللجنة خبراء من منظمات عالمية وجهوية مثل اليونسكو والآلسكو لكن هؤلاء الخبراء كان اختيار أغلبهم على المقاس.

وقد سميت ذلك بالتعاون الأجنبي حتى لا أقول شيئا آخر لأن العملية بدت وقائعها عبارة عن محاولة "غسيل للمخ" لأعضاء اللجنة وفي هذا الباب حل على اللجنة يوم 24 /27 أكتوبر 2000 ثلاثة خبراء قدموا محاضرات ضمن ما سمي بالورشة الأولى وهم:

- السيد شرفي محمد الوزير التونسي السابق للتربية.
- السيد بردوزي محمد أستاذ بجامعة الرباط (المغرب) وزير سابق.

وأدرجت أعمالهما ضمن المراجع الملحقة بالتقرير النهائي...! ؟

وهذا لا يدعو للعجب إذا علمنا أن جهود الأستاذين متجهة إلى تزكية فرنسة التعليم في مواده العلمية وفي إدراج الفرنسية ابتداء من السنوات الأولى للتعليم على ضوء تجربة بلديهما ...!! وكأن تونس والمغرب نموذجان في التربية يجدر الاقتداء بهما.

- السيدة ايديتن كريسون الوزيرة الأولى السابقة بفرنسا التي تحدثت عن تجربة مدرسة الحظ الثاني ولم تأت بشيء يذكر.

◆ أما الورشة الثانية فقد دعي لها أعضاء من اليونسكو والألسكو في يومي 13 و14 ديسمبر 2000 وهم:

- برشيش: أمين عام لجنة باليونسكو.

- رمزي سلامة (لبنان) الذي قدّم عرضا حول الإشكالية وتوجهات التربية في التعليم العالي.

الأمين عدنان (لبنان) الذي قدّم مداخلة بعنوان : إستراتيجيات تغيير الأنظمة التربوية (وهو الذي وضّح وبعد إلحاح بعض أعضاء اللجنة على معرفة الحقيقة قائلا : بأن أطفال لبنان يختارون بين اللغات من التحضيري، وأن الإنجليزية تجتاح المدارس بنسبة 80% سيما في الجنوب).

- هنري عويس (لبنان) كان موضوع مداخلته اللغة العربية وتدريس اللغات الأجنبية والسؤال المطروح : لماذا لم تتم دعوة خبراء من بلدان أخرى كإسبانيا وألمانيا وبريطانيا ومن الدول العربية مثل : مصر، سوريا (التي تدرس في جامعاتها الطب باللغة العربية).

- الجواب كان يقدم من حين لآخر على لسان رئيس اللجنة الوطنية وكأنه يبرر سبب اختياره لهم بأن لبنان وتونس والمغرب تتشابه مع الجزائر كونها خضعت للاستعمار الفرنسي جميعا والحقيقة أن الجزائر تختلف عن هذه البلدان في:

1. أن الاستعمار في الجزائر كان استعمارا استيطانيا حاول محو الشخصية والهوية الجزائرية بينما كانت هذه البلدان محميات استعمارية فقط .

2. إن الهوية في هذه البلدان غير مهددة مثلما هو الحال في الجزائر ففي هذه البلدان تعتز السلطة والنخبة والأعلام بلغتها العربية ولا تتحدث بغيرها عكس ما هو حاصل عندنا في الجزائر.

القصد الذي استنتجناه من خلال هذه الجلسات وبعد سماع مداخلات هؤلاء الضيوف هو:

- تكريس فكرة فرنسة التعليم والبداية بإدراج الفرنسية في السنوات الأولى وساعاتها موازية لساعات اللغة العربية!
- الإنجليزية لغة ثانية في التعليم الأساسي بعد الفرنسية.
- اعتبار اللغة الإنجليزية لغة مساوية للفرنسية يبدأ في الجامعة .

ولتوضيح ذلك أكثر أعرض أمام القارئ تعقيبي على مداخلة د. هنري عويس أمام الجمعية وبحضوره.

أخي الكريم: أولا نحن نعلم أن:

- اللغة تقوى بقوة أهلها وتنتشر بفاعلية أهلها .
- اللغة الأجنبية من المفروض أننا نتعلمها كلغة لا أن نعلم بها أونعيش بها ، والمعروف أن تلقي العلوم وتحصيلها باللغة الأم يعادل أضعاف ما يمكن تلقيه أو تحصيله بلغة أخرى.

• التساؤل المطروح:

أي قطار لغوي نركبه ليخرجنا من التخلف ؟ وبأية لغة يجب أن نفكر ونعيش ؟ وهل الإشكال اللغوي كان مطروحا عند الألمان واليابانيين عندما شرعوا في نهضتهم؟

مسألة اللغات الأجنبية مسألة حساسة جدا وهذا لا يعود للغة الأجنبية ذاتها وإنما يعود للثقافة التي تحملها لأن اللغة تعتبر وعاء حضاريا.

ثانيا : ذكرتم في مستهل مداخلتكم أن الجزائر تشبه لبنان في أوجه كثيرة واستشهدتم بقول الشاعر شوقي: "كلنا في الهم شرق" اسمحوا لي أن أقول لكم صحيح أن الجزائر تشبه لبنان في طبيعتها مثلا بيروت تشبه وهران وجبل لبنان يماثل جبل الشريعة في شجر الأرز، لكن هناك اختلاف كبير بين الجزائر ولبنان في الذهنيات، وفي الواقع وإليكم بعض الأمثلة على ذلك في الجدول التالي:

لبنان حسب ما ذكرتم	الجزائر حسب الواقع
شخصية لبنان غير مهددة لأنها محصنة بمناعة التنوع والاختلاف والإجماع على حب اللغة الوطنية (العربية)	شخصية الجزائر مهددة بالتفكك وما لم يستطع فعله الاستعمار الفرنسي في مدة 130 سنة ضد الشخصية الجزائرية تحقق في مدة30 سنة بعد الاستقلال.
	هناك من يريد تحويل الجزائر إلى مقاطعة تشبه مقاطعة "كيبيك" لغويا وليس حضاريا (مقاطعة كيبيك قطعة من كندا تستعمل اللغة الفرنسية).

openkanal.com

التعامل في لبنان بين اللغة العربية واللغات الأجنبية تعامل الند للند.	في الجزائر: يوجد صراع لغوي فيه تابع ومتبوع فيه إقصاء وتهميش للعربية على مستوى التعامل الإداري وحتى في الخطاب الرسمي ولا يمكن إخفاء ذلك، فالفضائيات التلفزيونية كشفت ذلك . "إشارة إلى بعض تصريحات وخطب الرئيس عبد العزيز بوتفليقة بالفرنسية"
في لبنان حرية الاختيار في تعلم اللغات الأجنبية.	في الجزائر: توجه معين يصل حد التعسف غير المباشر لتعليم لغة أجنبية دون أخرى.
في لبنان حرية التلقي والتواصل مع الثقافات، لبنان يصنع الكتاب ويصدره (كما يقال: مصر تكتب ولبنان يطبع والعراق يقرأ) والآن العالم كله يقرأ ما يصدر في لبنان	في الجزائر: الصحف والكتب العربية أغلقت الحدود في وجهها مدة أكثر من 13 سنة بينما فتحت على الجهات الأخرى (فرنسا)

- **رد فعل أعضاء من اللجنة:**

في الوقت الذي كنت أنتظر تعقيب المحاضر على ملاحظتي وعلى غير العادة واجهت هذه الكلمة التي تقدمت بها تعقيبات عنيفة وقاسية من قبل جماعة من المتدخلين المدافعين على لغة فولتير مثل (قريفو -السيد رمعون، بن رمضان، خليدة مسعودي، طوالبي) كما تلقيت تهاني جمع آخر من الحاضرين على كلمتي .

وجدير بالذكر أن جزائريين شاركوا في هاتين الورشتين بقدر من الموضوعية ولم ينغمسوا في الأسلوب المذكور وهم الأساتذة:

قاسم الدين صالح: رئيس مكتب باليونسكو

شمس الدين شيتور: عضو اللجنة الوطنية لإصلاح المنظومة التربوية اللذان تحدثا عن المدرسة والعولمة.

عبد الحميد أبركان: وزير سابق ورئيس بلدية الخروب (عين مؤخرا وزيرا للصحة).

يوسف مانتلشتا: مسؤول سابق بالجزائر واليونسكو في الإعلام الآلي. وقد حدّثنا عن التكنولوجيات الحديثة وأثرها في المدرسة .

ومما علقت به بعض وسائل الإعلام على الورشتين اللغويتين المذكورتين نورد فيما يلي ما كتبته صحيفة الشروق اليومي في عددها 40 بتاريخ 2000/11/18:

اللجنة الوطنية لإصلاح النظام التربوي

خبراء من اليونسكو والألسكو للتمويه والتبرير

عقدت اللجنة الوطنية لإصلاح النظام التربوي يومي 13 و14 ديسمبر 2000 ندوة مغلقة بقصر الأمم بنادي الصنوبر مقر عملها، شارك فيها خبراء من اليونسكو والألسكو، قدموا عروضا ومحاضرات أمام أعضاء اللجنة حول تجارب بعض الدول العربية في مجال الإصلاح التربوي، تناولت بالتشخيص والتحليل والمقارنة واقع بعض النظم التربوية في العالم العربي ودور اليونسكو والألسكو في تفعيل وتنشيط عمليات الإصلاح والتطوير التربوي حيث قدم السيد بن صالح مدير قسم التربية في اليونسكو محاضرة بعنوان: "أثر العولمة على قطاع التربية" وقدم السيد شيتور أستاذ في المدرسة الوطنية المتعددة التقنيات بالحراش محاضرة في نفس الموضوع بعنوان "المدرسة والعولمة" أما السيد محمد الأمين من الألسكو فتدخل في موضوع

استراتيجيات تغيير النظم التربوية كما قدم الخبير الدولي الجزائري السيد منتلشتا محاضرة تحت عنوان: المدرسة والتقنيات الجديدة للإعلام والاتصال.

وحيث أن اللجنة الوطنية لإصلاح النظام التربوي جعلت من موضع تدريس اللغات الأجنبية، أو بالأحرى من عقدة تدريس اللغة الفرنسية، أحد اهتماماتها الرئيسية، أقحمت الموضوع في سلسلة المحاضرات حيث قدم الأستاذ عويس محاضرة" بعنوان تدريس اللغة العربية وتدريس اللغات الأجنبية".

وتجدر الإشارة إلى أن اللجنة الوطنية كانت قد استضافت في وقت سابق خبيرين من تونس والمغرب، حيث ترك الخبير التونسي، وهو وزير سابق للتربية، انطباعا سيئًا لدى عدد من أعضاء اللجنة، لأنه دعا إلى العلمانية واللائكية في مجال التربية، أما الخبير المغربي والذي يبدو أنه اختير ليكون نسخة طبق الأصل من أغلبية "خبراء" لجنتنا الوطنية فقد توصل إلى نتيجة، وقعت بردا وسلاما على من اختاروه من اللجنة، حيث قال: إن الخطأ الوحيد الذي وقع فيه المغرب هو تعريب المواد العلمية في المرحلة الثانوية ولا نشك أبدًا في وجود خبراء حقيقيين في كل من تونس والمغرب متشبعين بالقيم الحضارية والثقافية لشعبهم ولأمتهم، لكن هؤلاء غير مرغوب في خبرتهم عند اللجنة الوطنية لإصلاح النظام التربوي التي افتتحت سلسلة المحاضرات بالاستماع إلى السيدة إيديت كريسون.

ويبدو أن المنظومة التربوية الجزائرية التي كانت إلى وقت قريب مثالا يحتدى به وكانت تقلد في كثير من جوانبها واختياراتها في بلدان هؤلاء الخبراء الذين أتوا لإعطائنا دروسا، أصبحت محل مغالطات وتوجيه مسموم، وبطرق مختلفة من طرف بعض الفاعلين في لجنة الإصلاح الذين استنجدوا بأمثالهم قصد الحصول على مبررات وتغليط الرأي العام.

"جريدة الشروق اليومي"

➢ الأسلوب الثالث : تغيير محتوى التقرير

شجاعة أم جرأة ؟ ... تلك التي تجعل من المقرر الجديد للجنة الفرعية الأولى يذكر حقائق ويهمل أخرى! كيف يمتلك شخص متعلم الجرأة على فعل ذلك وهو في لجنة إصلاح أول صفة ينبغي أن تتوفر في أعضائها هي الأمانة...

ذكرنا سابقا أن تقرير اللجنة الفرعية الأولى المكلفة بالإصلاح التربوي يتضمّن اقتراحين بخصوص اللغات أي أنها عرضت الموقفين أمام الجمعية العامة في جلستها يومي 23- 24 نوفمبر 2000 وبعد سماعه وإثرائه لم تفصل الجمعية العامة في الموضوع وتمت إعادة الكرة إلى اللجنة الأولى ذاتها التي كانت ناقشت الموضوع مرارا وتكرارا ولم تصل إلى الفصل فيه، واجتمعت هذه اللجنة يومي 5- 6 ديسمبر 2000 وعوض أن تتم صياغة أراء الجمعية العامة فتح الموضوع من جديد وطلب منشط اللجنة الفرعية ومقررها من أعضائها وعددهم لا يتجاوز 16 عضوا تقديم مقترحات جديدة مكتوبة أي العودة إلى نقطة البداية وهذه المرة يقدم كل عضو رأيه مكتوبا تمهيدا لعملية التصويت بين أوراق الحاضرين .

وجئنا بأوراق مكتوبة في جلسة 12/ 2000/12

أنظر الورقة المكتوبة التي قدمتها بخصوص اللغات(ملحق رقم03 ص157)

هي... وأخواتها

في جلسة تاريخية يوم 2001/12/21 كان على أعضاء اللجنة الفرعية الأولى أن يناقشوا الأمر مرة ثانية على ضوء إثراء الجمعية العامة في جلستها السابقة أو يدرسوا المقترحات المقدمة كتابيا أيام 5- 6- 12 ديسمبر2000 وحسب طلب رئيس الجلسة ومقرّرها فتح الملف من جديد للمناقشة شفويا لينتهي النقاش بالتصويت

على الاقتراحات بصورة غير شرعية ... ومع الأسف أن هذه الاقتراحات وردت في التقرير النهائي وفيما يلي وصف لبعض ما دار في هذه الجلسة التي ناقشت مواضيع :

1. لغة التدريس في الثانوي.
2. اللغة الأجنبية الأولى.
3. العربية والأمازيغية.

لغة التدريس في الثانوي

في تحليل عوامل ضعف التلقي في المواد العلمية وخصوصا الرياضيات ركز الزملاء المتدخلون على العوامل المدرسية (الأستاذ، الوسائل، اللغة) .

بينما نجد أن المحيط الذي يكوِّن الرغبة لدى التلاميذ يعتبر عاملا مهما إذ لا يمكن أن ننتظر من الأرض الجرداء إنتاج غلال جيدة فالرياضيات مثلا : مادة عقلية تدرس لتلاميذ يعيشون في محيط يتحرك بعقلية خرافية ولا يشجع المعرفة وعليه ينبغي إعادة بناء ذهنية المحيط أوالعقلية الجزائرية. والإصلاح التربوي ينبغي أن يكون له امتداد لإصلاح اجتماعي وسياسي إذ لا يستقيم الظل والعود أعوج كما يقول المثل .

نوقش موضوع تدريس المواد العلمية في الثانوي من جوانب متعددة وكانت التصورات تسعى إلى تحسين الأداء والتلقي لتمكين الطلبة من تجنب الصدمة نتيجة عدم الانسجام اللغوي في التعليم الجامعي الذي تدرس فيه المواد العلمية باللغة الفرنسية واقترح السيد يحي بوروينة عدة تصورات عملية منها: تكثيف الساعات المقررة للغة الفرنسية في التعليم الثانوي أو إدراج مادة جديدة لهذه اللغة تتضمن المصطلحات أو فترة خاصة لتعزيز مكتسبات الطلبة في اللغة الفرنسية خلال الشهور الأولى من التعليم الجامعي.

لكنها اقتراحات لم ترض الطرف الذي يريد فرنسة التعليم في الثانوي وتحدث الأعضاء بإسهاب عن تجارب بعض البلدان مثل: الكويت وعمان ولبنان والمغرب وتونس وسوريا هذه الأخيرة التي تتفرد بتعليمها المعرب في جميع المواد والشعب وفي جميع المراحل من الابتدائي إلى الجامعي.

كان التصميم واضحا على اتجاه جماعة الفرنسة لتثبيت اقتراح تدريس المواد العلمية والتقنية في الثانوي والجامعة بالفرنسية وحين جاء دوري قلت ما يلي:

« سأقول كلمتي ولو أني أعلم أن أغلبية(13) شخصا ستصوت على رأيها المساند للفرنسية ولو كان على حساب المنطق ورسالة المهمة لرئيس الجمهورية، والدليل ما حدث البارحة بالرغم من تمسك أحد الأعضاء (ب.ر) برسالة المهمة لرئيس الجمهورية التي توصي بإدخال اللغات الأجنبية في كل مراحل التعليم، لكن بمجرد أن حدث التصويت المصطنع لصالح اللغة الفرنسية في جلسة أمس... تناسى رسالة المهمة بخصوص موضوع الإنجليزية التي أقصيت البارحة من المرحلة الابتدائية.

كلنا مقتنعون ومتفقون على هدف واحد هو جعل تلاميذنا يتلقون العلوم بدرجة متطورة لكن هذا لا يعني المرور عبر لغة أجنبية وإهمال اللغة الوطنية سيما وأنها لغة المدرسة التي صدّرت للعالم كفاءات عالية ومثالنا في ذلك : الأستاذ الباحث العالمي "كمال تومي" المختص في الإعلام الآلي الميكانيكي الذي مر على طريق المدرسة الجزائرية .

يمكنني في حالة واحدة أن أوافقكم على فرنسة التعليم الثانوي إذا قدمتم اقتراحا تغيّر بموجبه المادة الدستورية التي تنص على أن العربية هي اللغة الوطنية.

(تقاطعني السيدة خليدة مسعودي قائلة: ذلك من اختصاص الشعب).

فأوضح لها: إن اللغة العربية اختيار شعبي وأن أي تغيير أو تجديد ينبغي أن يبنى على أسس موضوعية ومنطقية و يفصل فيه الشعب وليس مجموعة أفراد من لجنة مثل هذه.

ولنا أن نتساءل أين الخلل ؟ في اللغة أم في الوسائل...؟ مثلا إن علاج الشخص الأبكم الذي لا يستطيع النطق لا يتأتى بتعليمه لغة من اللغات فقط ولكن بعلاج دائه في الأذن أو الحنجرة... الخ، الأستاذة نصيرة زلال المختصة في الأرطفونيا حاضرة معنا ويمكنها شرح ذلك .

ولتسمح لي الأخت خليدة مسعودي وليكن قلبها واسعا مثل عقلها... يؤسفني أن أسمع من يطرح فكرة فرنسة لغة التدريس بالمواد العلمية والتكنولوجية في التعليم الثانوي وهناك في هذه اللجنة من يطالب بذلك ابتداء من الابتدائي !

- أولا يجب أن نحدد أين الخلل في اللغة أم في الوسائل والطرق والمدرسين و... و... لو أن الخوارزمي و جابر بن حيان وغيرهم من علماء الرياضيات باللغة العربية الذين تأثرت بهم الجامعات الأوربية حتى أنها كانت إلى عهد قريب تدرس اللوغاريتمات أو الخوارزميات لطلبتها... حاضرون معنا اليوم في اللجنة كيف يمكن أن تقنعوهم بأن اللغة العربية هي سبب الضعف في مادة الرياضيات.

- إن التبريرات المقدمة مثل وجود أخطاء في كتاب من كتب الرياضيات أونقص في الكمية لا ينبغي أن تكون الشجرة التي تغطي الغابة، لأن الخطأ يصحّح والكتب المدرسية تتوفر عندما يفتح مجال الكتاب المدرسي للمؤلفين والناشرين الخواص ومراكز الترجمة.

يؤسفني أنني أحضر جنازة اللغة العربية في المدرسة، يوم أمس قتلت واليوم أرى دفنها، ... عوض أن نعالج المشكل من أساسه ونواصل تعريب الجامعة، أرى أننا نتراجع عن المكاسب المحققة منذ سنوات ونفرنس لغة التدريس في الثانوي... !؟

وبعد كلمتي تدخل السيد الطاهر ميلة مؤكدا على محاولة قتل اللغة العربية.

خليدة مسعودي: سمعت أننا اليوم نقتل اللغة العربية ...القتل هذه الكلمة عندما تردد تذكرني بزوابري!

فعقبت عليها عندما جاء دوري في الكلمة:

في البداية أفتح قوسا لأقدم خبرا ثقافيا للسيدة خليدة مسعودي في جوان 2000 أشرفت على تنظيم الملتقى الوطني الأول للأدب والسياحة بحمام ملوان وكان الاختتام بقرية جبلية (المقطع الأزرق) التي ينتشر فيها الموت وهي قريبة من مواقع الشخص الذي ذكرته... ونحن أقمنا ملتقى أدبي هناك لنزرع الحياة من جديد، وأنت مدعوة في الملتقى الثاني في الشهور المقبلة سنة 2001. (لم تتم دعوتها نظرا لظروفها بسبب أحداث منطقة القبائل جوان 2001).

وإذا تحدثنا عن قتل العربية فهناك فرق بين من يقتل لغة وآخر يقتل شعبا...

الخلاصة : الأغلبية الحاضرة(13صوتا) وافقت على تدريس المواد الرياضية باللغة الفرنسية في التعليم الثانوي.

اللغة الأجنبية الأولى

وعاد الحاضرون إلى مسألة اللغة الأجنبية وسنة إدراجها وكان الاتجاه الغالب هو إجراء التصويت للفصل في أية لغة أجنبية ينبغي أن تدرس في المدرسة الجزائرية وفي أية سنة يبدأ تطبيقها.

وقدمت اعتراضي على فكرة التصويت من حيث المبدأ ومن حيث قانون اللجنة الوطنية لإصلاح المنظومة التربوية فقلت:

نحن لسنا في برلمان كي نصوت، والمدارس الفكرية من أساسياتها الاختلاف في الرأي لأن هذه لجنة خبراء وكل له رأي مقتنع به.

ثم إن القانون الداخلي لا يخول التصويت للجان الفرعية مثل لجنتنا ثم أن النصاب القانوني للحاضرين غير متوفر(16حاضرا من بين 43 عضوا في اللجنة).

ومادام هناك من طالب بتعليم ابنه الفرنسية في السنة 2 فإن طلبنا بسيط وهو ذكر رأينا في التقرير.

مسعودي تعلق ممازحة:

- خدوسي يريد ذكر اسمه في التقرير الموجه للرئاسة

أرد عليها:

- لا سيدتي... إن اسمي موجود في المكتبات ويكفيني ذلك.

ثم واصلتُ:

إن وجود لغات متعددة (الأمازيغية ، العامية، اللغة العربية المكتوبة، اللغة الأجنبية) للطفل في السنة الأولى - في بجاية مثلا- يؤدي مباشرة إلى كسر البنيات الأساسية للغة الكتابية (العربية).

في هذا الوقت اقترح منشط اللجنة إجراء التصويت على الساعة 14.30 من يوم 23 رمضان المعظم، وحدث التصويت بالتشكيلة الآتية:

عدد الحاضرين 16، عدد أعضاء اللجنة الفرعية 43 من بين 158 في اللجنة الوطنية.

وطرحت في البداية فكرة التصويت كحل للفصل في الموضوع وكانت النتيجة .

مع التصويت	13
ضد مبدأ التصويت	02
ضد التصويت لانعدام النصاب	01

obeikandi.com

نتيجة التصويت الثاني

الفرنسية في السنة الثانية	7 أصوات
الفرنسية في السنة 3	6 أصوات

نلاحظ أن مجموعة من 7 أشخاص من بين 158 عضوا تقترح الفرنسية في السنة الثانية .

نتيجة التصويت الثالث

الفرنسية في السنة 2	9

لدعم هذا الاقتراح غير عضوان رأيهما و انضما إلى الاقتراح الأول والخلاصة : اقتراح الفرنسية في السنة الثانية .

وسنذكر بعد حين عدم شرعية هذا التصويت مع الدليل القاطع .

oberkandl.com

اللغة العربية والأمازيغية

في اختتام اليوم الثاني(12/ 12/2000) من شهر رمضان، وقبل رفع الجلسة على الساعة 14,30 ب 15 دقيقة وصل المنشط إلى موضوع اللغة العربية والأمازيغية وكيفية دعمهما وتطويرهما وما يلاحظ في هذا الباب:

- أن الطريقة والوقت كانا غير مناسبين لدراسة وتقديم اقتراحات بناءة في موضوعين حساسين مثل العربية والأمازيغية.

- هناك قصد تكتيكي لإرهاق أعضاء اللجنة لمناقشة قضايا حساسة مثل اللغة العربية والأمازيغية في التعليم بعدما أخذت اللغات الأجنبية مدة 4 ساعات في الآراء والاقتراحات.

مع العلم أننا قدمنا في جلسات سابقة أوراق عمل مكتوبة وفق طلب المقرر ورئيس الجلسة لكن لم نجد لهذه الوثيقة أثرا في التقرير!

ومما ذكرته في هذه الجلسة السريعة:

إن التقرير المقدم يفتقر كثيرا إلى المقترحات العلمية الدقيقة التي ينبغي أن تخصص لها جلسة كافية زمنيا سيما أن موقع اللغة العربية قد حدث فيه تغيير بعد اقتراح الفرنسية في السنة الثانية ومعها الأمازيغية.

إذا لا بد من توفير مناعة قوية لهذه اللغة على مستوى الأداء والتلقي والوسائل...

وفي انفعال قلت : ما المانع من التفكير في تدريس اللغة العربية بواسطة اللغة الفرنسية مادامت هذه الأخيرة اقترحت كلغة تدريس لبقية المواد... !!

وقد كان الأمر كذلك في عهد الاستعمار !

➢ انحراف ... خطير:

أعود لموضوع التصويت وأقدم ما ذكرته في الجمعية العامة للجنة الوطنية للإصلاح المنظومة التربوية من ملاحظات حول عدم شرعية مقترحات اللجنة الأولى والتي وردت في التقرير النهائي:

« إن اقتراحات اللجنة الفرعية للإصلاح البيداغوجي في جلستيها يومي 21 و 22 ديسمبر 2000 غير قانونية وغير موضوعية فيما يخص إدراج اللغات الأجنبية ولغة التدريس وذلك للأسباب الآتية:

1. إن اللجنة المذكورة أقرت بمفردها القرارات المذكورة وأهملت التقرير القاعدي الأول حول اللغات ولم تعتمد على مناقشة الجمعية العامة للجنة الوطنية لإصلاح المنظومة التربوية بتاريخ 23 و24 نوفمبر 2000 حيث أثري التقرير الأول والتي لم تفصل في اختيار اللغة الأجنبية الأولى أو السنة الدراسية التي يبدأ في تطبيقها مع العلم أن جل المداخلات تصب في اتجاهين مختلفين (الفرنسية - الإنجليزية) حول الموضوع وأعيد تقرير اللجنة الفرعية للصياغة فقط لكن هذه اللجنة فضلت الانحياز مع الفريق المناصر للغة الفرنسية .

وعوض أن تصوغ هذه الآراء والمداخلات في مقترحات جديدة، انفردت بتسجيل اقتراحات وفق منظور أعضائها الحاضرين.

2. إن التصويت على الاقتراحات من صلاحيات الجمعية العامة فقط حسب النظام الداخلي للجنة بينما اللجنة الفرعية الأولى قامت بإجرائه وقدمت نتائجه في التقرير .

3. إن النصاب القانوني لم يتوفر من أجل إجراء التصويت - هذا إذا عملنا بمبدأ التصويت - لأن عدد الحاضرين كان 16عضوا بينما عدد أعضاء هذه اللجنة يساوي 43 عضوا.

4. إن اللجنة الفرعية للإصلاح البيداغوجي لم تحترم رسالة المهمة لرئيس الجمهورية المقدمة لأعضاء اللجنة يوم تنصيبها والمتضمنة في إحدى فقراتها ضرورة إدخال اللغات الأجنبية في جميع المراحل التعليمية واكتفت بإدراج اللغة الفرنسية فقط في المرحلة الابتدائية بينما أقصت اللغة الإنجليزية من هذه المرحلة.

➢ الأسلوب الرابع : المناورة (داخل اللجنة 1)

قاعدة تربوية شهيرة تقول: "الطفل إن لم تشغله شغلك..." هذه القاعدة حاول استثمارها الفريق المفرنس عندما كلفوني بتحضير موضوع محو الأمية في الجزائر والاقتراحات الضرورية ... وهذا قصد إشغالي أو تضييع وقتي اعتمادا على القاعدة التربوية السابقة أو اختبارا لمدى التزامي بالنشاط ضمن اللجنة سيما المكتوب منه.

وهذه الشكوك تأكدت من حقيقتها بعد أن لاحظت غياب جل المقترحات التي قدمتها في الموضوع من مشروع التقرير النهائي أو ضمن تقرير اللجنة الفرعية رغم أن جميع أعضائها استلموا المقترحات مكتوبة مني وناقشوها ووافقوا عليها.

وكان المصير نفسه لأغلب الاقتراحات الأخرى التي قدمتها ضمن المواضيع الآتية: - التوقيت المدرسي

- تطوير تعلم اللغة العربية
- التربية الإسلامية

وقد قدّمتُ هذه الاقتراحات مرة ثانية إلى المقرر العام في آخر دورة بعد أن تبين عدم إدراجها من قبل مقرر اللجنة الفرعية للإصلاح التربوي.

أتمنى أن تكون قد أدرجت في التقرير النهائي الذي قدّم لرئيس الجمهورية حتى لا يتأكد اعتقادي. (مع العلم أن التقرير النهائي للجنة الوطنية لإصلاح المنظومة التربوية المعدّل لم يطلع عليه أعضاء اللجنة لحد الآن).

* أنظر الاقتراحات:

- محو الأمية ملحق رقم 4.
- التوقيت المدرسي ملحق رقم 5
- تطوير تعليم اللغة العربية ملحق رقم 6

* مادة التربية الإسلامية:

في يوم 12 ديسمبر 2000 وفي شهر رمضان اجتمعت اللجنة الفرعية للإصلاح البيداغوجي، هذه المرة بالمعهد الوطني للتكوين المهني بالأبيار، قدمت السيدة (ل، ب) ورقة في الموضوع لقيت قبولا واستحسانا من قبل المجموعة الحاضرة ومن المفارقات العجيبة أنه عندما كانت السيدة (ب) تقترح حذف مادة التربية الإسلامية من البرنامج الدراسي كان صوت المؤذن يَصل مسامعنا وهو ينادي لصلاة الظهر، هذه الحالة تذكرني بالكاتب الفرنسي"جول لوروا" الذي مازال على قيد الحياة وقد تجاوز الثمانيين وهو أحد المعمرين الذين ولدوا بالجزائر وأحد أصدقاء الكاتب "ألبير كامو" ... "جول لوروا" بعد زيارته للجزائر عام 1997 بدعوى من التيار المعروف، بذريعة زيارة قبر أمه الكولونيالية في الجزائر العاصمة، وقد نجم عن تلك الزيارة كتاب بعنوان "آه أماه، آه قلبي" يقول فيه:

"إن مثلث السعادة الذي تركته فرنسا أصبح يعرف اليوم بمثلث الموت" ويتذكر حكايات أمه عن الجزائر إذ قالت له:

"عندما كنت أجلس أمام ضيعتي أوقات المساء وأسمع آذان العشاء كان هذا الصوت يحدث في نفسي اشمئزازا وكأن به لازمة لا تنفك تهدد وجود الفرنسيين في الجزائر فما أطول هذا الصوت وما أثقله" (عن حديث مع الدكتور

عبـد الله حمـادي لـصحيفة صـوت الأحـرار بتـاريخ 9 مـاي 2001) وتـضمنت اقتراحات السيدة (ب) على اللجنة ما يأتي:

1. إدماج التربية الإسلامية والتربية المدنية تحت عنوان التربية الخلقية.
2. اقتصار محتوى ما يدرس من الإسلام في الأركان الخمسة وبعض الآيات القرآنية من مختلف السور (في التعليم الأساسي).
3. دراسة الديانات الأخرى حتى اليهودية ابتداء من التعليم الثانوي!

وقدم أحدهم ملاحظات: بما يرد على ألسنة المعلمين والأساتذة في دروس التربية الإسلامية من قطع اليد وحقوق الميت على الحي!

وكانت مداخلتي كما يأتي:

أولا ينبغي توضيح وتحديد أي مجتمع نريد إصلاحه تربويا ونهدف إليه هل هو مجتمع لائكي أم إسلامي أم ديمقراطي أم... ماذا ؟

وأنا أعلم أن الجزائر لا تحتاج إلى مشروع مجتمع لأن مجتمعها موجود ومنذ قرون ... ويجسده ذلك "المواطن العادي بعاداته وتقاليده ومقدساته وطموحاته فهو يذهب إلى المسجد كما يذهب إلى السوق... بعبارة أخرى لا توجد عقدة هوية لدى المواطن الجزائري العادي.

بالنسبة لموضوع التربية الإسلامية في المدارس:

صحيح أن الذي رأى المجازر خلال العشرية الماضية والمرتكبة أحيانا باسم الدين يقرّر العيش في جزيرة نائية ولا يفكر في اعتناق أية ديانة ولكن هل "الإسلام" كان وراء هذه المجازر ؟

أنا لا أدافع عن ديانة معينة لأن للكعبة رب يحميها كما يقال، لكن لاأريد أن أسلم بأن الشجرة التي تغطي الغابة هي الغابة فالإسلام قبل أن يختصر

في الحديث عن الجنة والنار وعذاب القبر الذي لا أوافق على تعليم ذلك في مرحلة الصبا للأطفال لأنها مواضيع مجردة وغيبية لا يدركها عقل الطفل، إن الإسلام ثقافة وحضارة ونحن نريد أن نعلم الأبناء من خلال هذه المادة الدراسية قيمه وأخلاقه.

وإذا كان الدستور الجزائري يقرّ أن الإسلام دين الدولة والإطار المرجعي للإصلاح التربوي للجنة الوطنية لإصلاح المنظومة التربوية يعتبر الإسلام أحد المكونات للشخصية الوطنية (العروبة -الإسلام -الأمازيغية) سيما وأن الإسلام عامل أساسي في دعم الوحدة الوطنية وقد يكون العنصر الوحيد المحافظ عليها حاليا.

ولأنه من حق الطفل الجزائري أن يتشبع بقيم هذا الدين ينبغي التركيز على المفاهيم الحضارية للدين الإسلامي وعقلنة المواضيع المدرجة في مادة التربية الإسلامية.

وإن تقزيم مادة التربية الإسلامية في المنهاج الدراسي هو اتجاه نحو إلغائها نهائيا... وإن حذفها من البرنامج يعني ترك المجال مفتوحا لتدريس الإسلام من قبل جهات أخرى لا ندري ما هي اتجاهاتها ومقاصدها، وإذا كان من حسن حظ الجزائر أنها تدين بمذهب واحد فمن يضمن لنا عدد المذاهب الدينية في المستقبل بالجزائر إذا لم تتكفل المدرسة بهذه المادة ؟

وأنا أعلم أن كثيرا من المعلمين والأساتذة حتى معلمي المواد العلمية أصبحوا دراويش إن لم أقل أئمة يخوضون في كل حديث فقهي... لذلك فإنني أقترح الإبقاء على مادة التربية الإسلامية مستقلة مع تخصيص أساتذة أكفاء لتدريسها.

obeikandl.com

* اقتراحات ...مقبولة:

ومن بين اقتراحاتي التي لقيت اهتماما لم أكن أتوقعه، إنشاء هيئتين وطنيتين جديدتين للتربية مستقلتين عن وزارة التربية استقلالا تاما، وهما:

1. هيئة التفكير والبحث والتخطيط جاءت في التقرير باسم المجلس الوطني للتربية والتكوين (وهي تمثل السلطة التشريعية)

2. هيئة للتقويم والمتابعة جاءت في التقرير النهائي باسم المرصد الوطني للتربية والتكوين(وهي تمثل السلطة القضائية) أما وزارة التربية فإنها تبقى الجهاز التنفيذي.

ولا أدري ما السر في قبول هذين الاقتراحين هل هي ضرورة المصلحة العامة أم أن هناك حسابات أخرى كالاستحواذ على المناصب التي تأتي بها هاتان الهيئتان وتسيير ميزانيتيهما ... كما يقال كل شيء ممكن ... وإذا كان بعض الظن إثم فماذا نسمى البعض المتبقي ...؟

سيما وأن هناك اقتراحا ورد بالشروع مثلا في تنصيب المرصد الوطني للتربية والتكوين ابتداء من سبتمبر 2001 على أن ينقسم إلى مجموعة هياكل وطنية طيلة سنة، مجموعة متكونة من المعهد الوطني للبحث في التربية ومركز البحث في الانتربولوجيا (CRASC) ومركز البحث في الدراسات المطبقة على التنمية (CREAD) والتي تتولى مهمة وصنع هياكل هذا المرصد وبالتالي فإن الأشخاص الذين يتولونه معروفون من الآن ... أي لا يخرجون عن التيارات التي تسير بها هذه المراكز وأعني بالذات مركز البحث في الانتربولوجيا ...!! وقد تفطن بعض الأعضاء إلى هذه الخطة وطالبوا بحذف مجموعة الهياكل المذكورة لتحرير المرصد الوطني للتربية والتكوين المزمع تنصيبه من كل المؤثرات المسبقة، وإذا عرف السبب بطل العجب ...!

لماذا توقف المقرر عن التحرير ؟

المهم أنني علمت بعد احتجاجي في الجلسة العامة أن قلم مقرر اللجنة الفرعية الأولى توقف عن التحرير والصياغة يوم 2000/11/23 وكل الاقتراحات التي جاءت بعد هذا التاريخ لم تدرج في تقرير اللجنة الوطنية سواء المقدمة من قبل أعضاء اللجنة الفرعية الأولى كالاقتراح الثاني الخاص بسياسة اللغات والذي يوصي بإدراج الإنجليزية كلغة أولى أو من قبل أعضاء اللجان الأخرى المتدخلين في الدورات الموالية للجنة الوطنية.

والخطورة أن تقرير اللجنة الفرعية الأولى يعد وثيقة رسمية للجنة ويدمج ضمن الملاحق الخاصة بالتقرير النهائي والتي يمكن أن تكون مرجعا للمشرّعين فيما بعد ... فكيف تصاغ نصوص قانونية استنادا إلى وثائق ناقصة أو مشوّهة؟

والسؤال الذي مازال مطروحا ... لماذا توقف المقرر عن تسجيل المستجدات ؟

الجواب بسيط: "لقد اعتمدت سياسة الهروب -نسمع ولا نكتب- هذا الأسلوب (حوار الطرشان) هو المخرج الوحيد للخروج من الورطة"

فشل الأساليب:

الحجة ... بالحجة

يوم 10- 01- 2001 فتح النقاش من جديد حول ملف اللغات بعد محاولة إغفال الموضوع طيلة يومين.

الدكتور حواس مسعودي المختص في اللسانيات والمتخرج من جامعة السربون يقدم أراء سديدة في موضوع تدريس اللغات والحجم الساعي المخصص لكل لغة وفي المنهاج الحالي بحيث أن اللغة الفرنسية تستفيد أكثر من 1000 ساعة تدريس سنويا وهو حجم كاف لأية لغة كي تتقن وبالتالي فإن المسألة في الطريقة والوسائل التي تدرس بها وليس في تقديمها أو تأخيرها في سنوات المسار الدراسي، كانت أراء الأستاذ حواس مسعودي حججا مفحمة لم تجد من يواجهها من أنصار الفرنسة.

وتحوّل النقاش من الطرح العلمي المذكور إلى الطرح الاجتماعي التاريخي وتحدث الحاضرون بمقولة الروائي كاتب ياسين " الفرنسية غنيمة حرب" والتي تنسب خطأ للشاعر مالك حداد الذي كان يقول:"الفرنسية هي منفاي" كونه لا يتقن الكتابة إلا بالفرنسية كما أن الفرنسية صارت في نظرهم لغة المحيط يستوجب الحفاظ عليها.

فتدخلت بمايلي:

تقولون إن اللغة الفرنسية هي غنيمة حرب ينبغي الحفاظ عليها.

هل يمكن أن نقول أن الألغام التي زرعتها فرنسا في الجزائر هي غنيمة حرب تجب المحافظة عليها ؟ وكانت هذه الأيام مصادفة لمرور ذكرى تفجير القنابل الذرية في رقان (الصحراء الجزائرية) بحيث خصت بعض الجرائد الجزائرية ملفات

مثيرة حول ضحايا مخلفات الاستعمار في الجزائر نورد على سبيل المثال فيما يلي مقدمة المقال الذي صدر في جريدة الخبر بعنوان:

"ضحايا مخلفات الاستعمار في الجزائر

فرنسا مصرّة على إخفاء مواقع الألغام"

3 ملايين لغم زرعت بالجزائر خلال الحقبة الاستعمارية، الحصيلة بعد الاستقلال 20 ألف جريح ومعاق و 36020 قتيل «بعد حوالي 40 سنة من استقلال الجزائر، لا زالت قائمة ضحايا فرنسا في ارتفاع ... نتيجة انفجار ألغام أرضية تركها المستعمر هدية للجزائريين... ومن مساوئ الأقدار أن يبتلى هؤلاء الضحايا بتشوهات خلقية تسبب لهم إعاقات مزمنة لا يجدون في أغلب الأحوال من يخفف وطأ هذه المعاناة ونذكر شهادات تاريخية لمجاهدين عايشوا الثورة إنه كان يمكن أن تتوقف مأساة الجزائريين من هذه الألغام عند إعلان الاستقلال، لو كشفت فرنسا عن مخططات زرع الألغام على الحدود الشرقية والغربية، مما يجعل الاعتقاد أن مفاوضات أيفيان كان يمكن أن تضمن جانبا من حقوق الجزائريين، ضحايا هذه الألغام لو تم إدراج هذه النقطة الحساسة في المفاوضات المذكورة. العقيد المتقاعد عمار بوجلال الذي عين في سنة 1970 على رأس وحدة هندسية عسكرية متخصصة في نزع الألغام قرب الحدود الغربية رجل عايش الحدث رفقة أفراد وحدته واستطاع رغم نقص الخبرة أن ينزع الآلاف من الألغام وبعد مرور حوالي 40 سنة من الاستقلال لا زال يتذكر المأساة وما كانت تخلفه الألغام من هلع ورعب وموت في صفوف المواطنين والجنود على حد سواء »

(جريدة الخبر)

تقولون أن المحيط يستعمل اللغة الفرنسية، هاهي أمامكم الجزائر 48 ولاية، اذهبوا بعيدا عن بعض الإدارات المركزية بالجزائر العاصمة تجدون المحيط معربا، وانظروا هذه جريدة الخبر يوم أمس (2001/01/09) صفحة إشهار كاملة لوزارة الطاقة والمناجم باللغة الإنجليزية.

- وفي ختام هذه الجلسة تأكد لهم أنه لا مفر من إدراج المقترح الثاني في تقرير اللجنة فطلب منا تقديم مخطط يتضمن اقتراحات عملية محددة تبين منظورنا لتدريس اللغات الأجنبية وفق النسق العام للتعليم.

- فكلفنا الدكتور حواس مسعودي بالتعاون مع الدكتور عبد القادر هني لإنجاز هذا المخطط وكان ذلك، وهي المقترحات التي تضمنها الرأي الثاني في التقرير العام (انظر الملحق رقم 8 ص168)

openkandl.com